تفريغ محاضرة رقم (١)

- دورة قضية الإيمان بالقضاء والقدر (الدورة المكثفة) -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى أله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله جل وعلا، وإحسان الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

طبعًا أهمية العقيدة عند كل مسلم من الأهمية بمكان، لا تحتاج إلى مزيد تدليل أو شرح، حسبك في ذلك حديث ابن عباس في الصحيح، لما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن، قال له: (إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله)، فالتوحيد والقَدر سر التوحيد، كما يقول أئمة السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم: القَدَر سر التوحيد.

والدورة اللي معنا النهاردة إن شاء الله رب العالمين، نسأل الله أن يتمها علينا في عافية من أمر ديننا ودنيانا، وأن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون إحسانه، اللهم إستعملنا ولا تستبدل بنا غيرنا، وسددنا وإهدنا ويسر الهدى لنا.

هنتكلم في قضية القضاء والقدر، ودي من القضايا الشائكة الحساسة عبر التاريخ الإسلامي، زلت فيها أقدام، وظلت فيها أفهام، وهدى الله عز وجل أهل السنة والجماعة لما إختلف الناس فيه من الحق بإذنه.

المعتمد معنا الفصل الرئيس في هذا الباب فصل: الإيمان بالقضاء والقدر، من كتاب: معارج القبول، شرح سُلم الوصول في توحيد الله وإتباع الرسول ﷺ.

هنحشي على هذا الفصل ببعض الفوائد المختصرة، ونجاوب على بعض الإشكالات اليسيرة، وبعدين عندنا بعض إحالات من بعض الكتب المؤلفة من كلام شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله عز وجل.

وعندي مقدمة في النظم الشعري المعروف، تم شرحه أكثر من مرة قبل كده، إسمه: معارج الجنة نَظْم المنة، في شرح إعتقاد أهل السنة.

الباب السادس عندي في النَظْم اللي معي تحت عنوان: الباب السادس: الإيمان بالقضاء والقدر، ودي مجموعة أبيات سهلة ويسيرة، هتسمعها مِرارًا في الحلقة معنا هنا أو في الحلقات المتتالية معنا هنا، وحبيت تكتبها كان بها، ما حبتش مش هو ده الأساس بتاعنا، بيقول:

وجاء في الصحيح قول ابن عمر ... في كفر منكر القضاء والقدر

واحذر من الكلام في الأقدار ... من غير علم جا عن المختار

ومالك الأملاك لا يُسأل عن ... أفعاله فإحذر سبيل من لعن

فصل في مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

مراتب الإيمان بالأقدار ... أربعة خذها ولا تماري

فالأول الإيمان بالعلم الجلي ... لدى الإله بالدقيق والجلي

ثانيهم الإيمان بالكتابة ... وتلك أنواعٌ بلا غرابة

باللوح ثم بعد خلق آدم ... وللجنين فإرتق المكارم

وليلة القدر بها كتابة ... وكل يوم فله كتابة

وأُحتج بالأقدار في المصائب		وإحذر من إحتجاج ذي المعايب

والثالث الإيمان بالمشيئة		لله رب الكون والبريئة

على العباد وإقسم الإرادة		شرعية كونية مرادة

والرابع الإيمان أن الباري		يخلق فعل الخلق بإقتدار

فالعبد ذو مشيئة مؤثرة		والرب ذو مشيئة مسيطرة

فصل يختم به الباب في ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، قال فيه:

اعمل بجدٍ وإحذر الإعجاب		وادع الذي يهيئ الأسباب

ويُنسب التوفيق للرحمن		وينسب الذنب لذي العصيان

وإصبر على المكروه من أقدار		إذ كلها بحكمة الغفار

هذا موجز الأنباء وإليكم الأنباء بالتفصيل أن شاء الله عز وجل.

هنرجع هنا للفصل بتاعنا اللي هو صُلب رحلتنا، الركن السادس من أركان الإيمان.

الركن السادس هو الإيمان بالقضاء والقدر.

هنحكي القصة من أولها وباب الإيمان في صحيح الإمام مسلم الذي إفتتح به الإمام رحمه الله عز وجل أول صحيحه، عن يحيى ابن يعمر رحمه الله عز وجل قال: إنطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن حاجين أو معتمرين، فقلنا لو وُفق لنا أحد من أصحاب محمد ﷺ نسأله فيما يخوض فيه هؤلاء في القدر، قال: وكان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبدٌ الجهني، قال: فوُفق لنا عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما خارجاً من مسجد رسول الله ﷺ تسليماً، قال: فإكتنفته أنا وصاحبي، أنا عن يمينه وصاحبي عن شماله، فظننت أن صاحبي سَيَكِل الكلام الي، فقلت: أبا عبدالرحمن، إن قبلنا أناسًا بالبصرة يقولون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف، يعني علم الله بالأشياء مستأنف، جديد في جديد، إن قِبلنا بالبصرة أناسًا

يتقعرون العلم، يتقفرون العلم، يتفقرون العلم، على إختلاف الألفاظ في الروايات الصحيحة الثابتة في هذه القصة الخطيرة المهيبة الرهيبة، إن قبلنا بالبصرة أناسًا يتقفرون العلم، يعني يطلبون قفار العلم، يخشوا في الغويط قوي يعني، في الأماكن القفرة، اللي بينقطع فيها جهد أي حد، يقولون: ألا قدر، فما تقول في أولئك؟ فقال عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني منهم براء، وأنهم برءاء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أنفق أحدهم مثل جبل أحد ذهبًا ما تُقبل منه حتى يؤمن بالقدر، حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ قال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن إستطعت إليه سبيلًا)، قال: صدقت، قال عمر: فعجبنا له، يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن باليوم الأخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال: فأخبرني عن الساعة، متى الساعة؟ فقال النبي ﷺ: (ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل؟) فقال: فأخبرني عن أمارتها، قال: (أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)، قال عمر: ثم إنطلق فلبثت مليًا، فقال النبي: (أتدرون من السائل؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (ذاكم جبريل، جاءكم يعلمكم أمور دينكم).

إذًا الدرس بتاعنا ده من صلب وصايا جبريل للنبي وللأمة في شخص النبي ﷺ، هذا علمٌ سماوي، علم الوحي إلى النبي ﷺ من أمور الدين أن تعرف الإيمان، ومن الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره.

قال الناظم رحمه الله الشيخ حافظ بن أحمد حكمي في المنظومة:

والسادس الإيمان بالأقدار فأيقنن بها ولا تماري

فكل شيء بقضاء وقدر والكل في أم الكتاب مستطر

يبقى إحنا عندنا هنا أركان الإيمان ستة، لا يصح إيمانُ عبدٍ إلا بها، ومنها ولا يقبل الله عز وجلَ من عبدٍ صرفًا ولا عدلًا إلا بها، ومنها الإيمان بالقدر.

قال الله عز وجل: (إنا كل شيء خلقناه بقدر).

قال الله عز وجل: (وكان أمر الله قدرًا مقدورًا).

قال الله عز وجل: (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه).

قال عز من قائل: (وما أصابكم يوم إلتقى الجمعان فبإذن الله).

إذًا أدلة القرآن متضافرة على إيضاح هذا الركن، وعلى وجوب الإيمان به، وقد قال رب العالمين سبحانه وتعالى يعني مؤصلًا هذه العقيدة في آياتٍ كثيرات ما قال سبحانه وتعالى، سنة النبي محمد ﷺ طبعًا صنو القرآن ومثيلة القرآن، (ألا وإني أوتيت القرآن) وإيه؟ (ومثله معه)، فجاءت سنة النبي محمد ﷺ مؤكدة مفصلة موضحة شارحة مبينة لما إلتبس على أهل الإيمان في هذه القضية الخطيرة؛ قضية الإيمان بالقادر.

تعالى نشوف صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى وكُتب السنة عن النبي ﷺ، قالت لنا إيه؟ هنا عن حديث طاووس بن كيسان أنه قال: أدركت أناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يقولون: كل شيء بقدر، عشان تعرف أن المنهج ده منهج سلفي، منهج مُسند، أدركت أناسًا من أصحاب رسول الله كلهم يقولون كل شيء بقدر، وسمعت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: (كل شيءٍ بقدر)، فقال قائل: يا رسول الله، حتى العجز والكيس، كون إن فلان ذكي، وكون إن فلان غبي، كون إن فلان بيعرف يتصرف، وفلان ما بيعرفش، كون أن فلان دمه خفيف، وفلان دمه يلطش، كل ده بقدر؟ حتى العجز والكيس؟ قال: (حتى العجز والكيس)، رواه مسلم في الصحيح.

ومن حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال: جاء مشركوا قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر، خذ بالك الخصومة في القدر مش جديدة، الخصومة في القدر قديمة جداً جدًا جداً وأول خصماء الله في هذا الباب إبليس، قال: (فبما أغويتني) مش أنت اللي كتبت علي كده أنا ذنبي إيه؟ تمام؟ ولذلك أقران إبليس وأنصار إبليس عارفين القصة فبيدافعوا عن الشيطان، في رواية إسمها أنا بتاعة توفيق الحكيم، اللي هي أنا مدين أو أنا بريء أو أنا مظلوم، إسمها راح عني، المهم هي في كل الرواية دي بيدافع عن إبليس في أن هو ما لوش ذنب، تمام؟ يعني إبليس لا حُجة له، فجاء توفيق الحكيم ليدافع عن إبليس، تمام؟ أنا شهيد، إسمها أنا شهيد، الرواية إسمها أنا شهيد، يعني إيه؟ إبليس شهيد على الله بحجته، أقام حجته على الله، ده معنى القصة يعني.

المهم أن خصومة الأبالسة وخصومة المشركين وخصومة أعداء الدين في هذا الركن الركين ليست بالجديدة، الملاحدة عارفين إن المنطقة حساسة وخطرة والغلطة فيها بموتة، فدائمًا قاعدين مربعين لك في الحتة دي، وأخطر ما يكون إن أنت تجيب على شبهات أو تتعرض لشبهات الملاحدة والمشركين وعباد الأوثان وأتباع الشيطان، في هذه المسألة وأنت خلول وفاضي، يعني ما حلتكش حاجة، جيوبك منفضة ما فيهاش أي حاجة، وداخل تناظر في قضايا من الخطورة بمكان.

فهنا النبي محمد ﷺ جاءه نفر من المشركين يخاصمونه في القدر، فجاء الجواب من قبل السماء قال الله عز وجل: (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس صقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر)، يعني لا حجة للعباد على رب العباد، بل لله الحجة البالغة والحجة الدامغة سبحانه وتعالى.

في البخاري؛ بوب الإمام البخاري رحمه الله باب: (وكان أمر الله قدرًا مقدورًا)، أمر الله هنا اللي هو جمع أوامر، اللي جمعه أمور عفوًا، أمر الله هنا في هذا الموضع اللي جمعه أمور، تقول لفلان: كيف أمرك؟ كيف تسير الأمور؟ الأحوال والأقوال والأفعال والطروق، يبقى هنا الأمر هنا مش بمعنى الأوردر، لا الأمر هنا بمعنى الشيء، الأمر هنا الذي جمعه أمور،

عكس الأمر اللي هو جمعه أوامر، تمام؟ (إن الله يأمر بالعدل) أمر الله بالعدل من جملة الأوامر، مش من جملة الأمور، تمام؟

أما قول الله عز وجل: (وكان أمر الله قدرًا مقدورًا)، يعني كل أمرٍ، كل شيء كان مخلوقًا لله مقدورًا لله جل وعلا، هتعرف الفرق بين أمر الله اللي جمعاها أمور، واللي جمعاها أوامر لما نيجي نأخذ ملف كده في باب الإيمان بصفة كلام الله جل وعلا، والرد على ضُلال المبتدعة قديمًا وحديثًا.

يبقى البخاري بوب هنا في الصحيح، باب: (وكان أمر الله قدرًا مقدورًا)، وإستدل بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ ما في صحفتها ولتنكح، فإن لها ما قُدر لها)، وده الشاهد من الحديث اللي هو ترجم به الإمام رحمه الله عز وجل للباب، (فإن لها ما قُدر لها).

وعنه أو في صحيحه رحمه الله تعالى من حديث أسامة بن زيد قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته، مرسال جاي من إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم، وعنده سعد وأُبي بن كعب ومعاذ، المِرسال بيقول للنبي: أن ابنها يجود بنفسه، ابن بنت النبي بيطلع في الروح، فبعث إليها رسول الله ﷺ بهذه التعزية: (لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شيء بأجل، فلتصبر ولتحتسب)، (لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شيء بأجل)، أركان الإيمان بالقدر في ثلاث كلمات في تعزية في برقية تعزية، (لله ما أخذ) فالامر أمره، والملك ملكه، وكل ما في السماوات والأرض رهن أمره سبحانه وتعالى، (لله ما أخذ، وله ما أعطى) فإن كل ما يملكه الإنسان إنما هو من عطاء الله سبحانه وتعالى، والإنسان لا يستأهل شيئًا، إنما يعطي الله عز وجل خلقه تمنناً وتفضلاً مش إستحقاقًا، ما حدش له حق عند ربناً أصلا، وإنما له ما أعطى، فيعطي من يشاء، ويحرم من يشاء، فاللهم أعطنا ولا تحرمنا، (لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شيء بأجل)، الواجب عليك إيه بقى بعد كده؟ (فلتصبر ولتحتسب).

وعنده رضي الله تعالى عنه، عن البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أخبر أنه بينما هو جالس عند النبي ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، إنا نُصيب سبيًا ونحب المال، كيف ترى في العزل؟ أو إنا نصيب سبيا، يعني لما بنقاتل وربنا بيرزقنا وينصرنا على الكفار بنأخذ بعض السبايا، بتقع في نصيبي أنا بعض القسمة بعض السبايا، فأنا مش عايز من هذه السبية التي أحل الله لي وطأها بمقتضى عقد المِلك الذي هو أقوى في الاستحلال من عقد الإيه؟ النكاح، مش عايزها تخلف مني لإن ابن الملك ملك أو ابن السبية هيبقى سبية أو نحو ذلك، يعني أو أخاف أن النسل ما يبقاش تمام، إنا نصيب سبيًا ونحب المال، يعني أنا إيه نصيبه سبيا ونحبه؟ يعني عايز أتيها ولا تحمل مني عشان أبيعها، ليه؟ لأنها لو حملت منه هيحصل إيه؟ هتبقى أم ولد، يبقى هيحرم بيعها، يبقى أنا كده أتلفت ماليتها، أنا أتلفت ماليتها، ما عادتش تتباع وتتشرى يعني، فبيقول له: أنا عايز أستمتع بها كملك يمين، يعني أتيها إستمتع بها أو أضاجعها أجامعها، وبعدين لما أزهق منها أبيعها، إنا نصيب سبيًا ونحب المال، كيف ترى في العزل؟ فقال النبي ﷺ: (أو إنكم تفعلون ذلك؟ لا عليكم ألا تفعلوا، فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا وهي كائنة)، عزلت ما عزلتش، اللي ربنا قضاه سيكون.

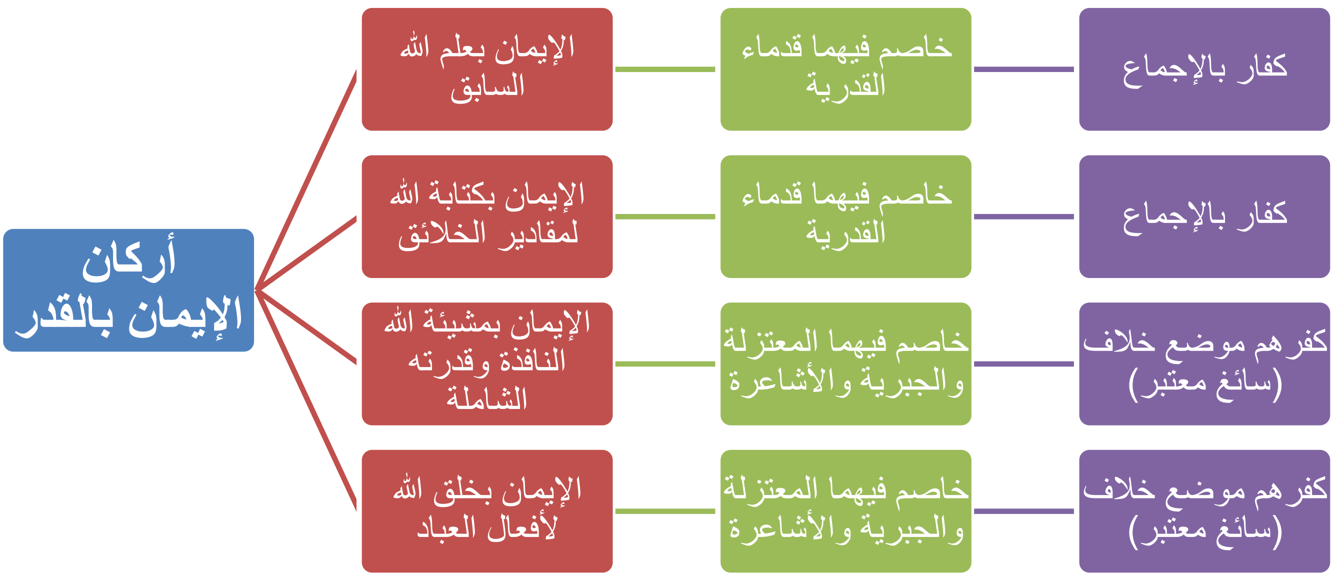
وأعجب من ذلك حديث النبي ﷺ قال: (لو أن الماء الذي يكون منه الولد أراقه أحدكم على صخرة وأراد الله منه الولد لكان منه الولد)، حديث صحيح، (لو أن الماء الذي يكون منه الولد أراقه أحدكم على صخرة وأراد الله منه الولد لكان منه الولد)، عشان تأخذ بالك أن الموضوع يعني تفهم قدرك، خذ بالك أن ما فيش حتة في الدنيا un limit بلا حدود، ما فيش شخص في الدنيا un limit بلا حدود، كل إنسان مهما كان طغيانه، مهما كان ظلمه، مهما كان جرمه، مهما كان كفره، مهما كانت جرأته، لازم يعرف أن له حد، و(رحم الله إمرأ عرف قدر نفسه)، يبقى أنت أوعى تتصور إنك هتتعامل مع ربنا بثقافة un limit ثقافة اللامحدود، لا ما فيش كده، لك حد ولك قد ولك قدر، إلزم حدك، شوف اللي لك فين واللي ما لكش فين؟ وشوف مين يسأل مين ومين يحاسب مين؟ قانون القدر: (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)، مش عاجبك؛ إخبط دماغك في الحيطة، إزاي أنا من حقي أسأل؟ لأ

مش كل اللي أنت بتعتقده من حقك من حقك حقيقة، ومش كل اللي أنت بتعتقده من حدك وقدرك لأ ده أنت تحت كده بكتير قوي، واللي أنت بتظنه إنك تعيش على حريتك مش تعرفش تمارسه في أي حتة في الدنيا، ولا في بيتك وأنت قافل على نفسك، يبقى هنا لازم تعرف إن أنت وأنت بتتعامل في باب القدر، قانون سر التوحيد الفرق بين الخالق والمخلوق، تعرف أنت إيه وقدرك إيه وبتتكلم عن مين وتتكلم إزاي؟

والسادس الإيمان بالأقدار   فأيقنن بها ولا تماري

فكل شيء بقضاء وقدر   والكل في أم الكتاب مستطر

هنا الإيمان بالقضاء والقدر لابد له من مراتب أربع، إجتمع أهل السنة والجماعة على إثباتها، يلا نأخذها على السبورة ونشوف الدنيا فيها إيه؟ ونقرب الصورة شوية وربنا يرزقنا وإياكم ما ينفعنا، ويالله بنا.



هنقول هنا: أركان الإيمان بالقدر، عايزين نركز مع بعض عشان كل ركن من الأركان هنصطدم به أو هيصدمنا فيه فريق من فريق أهل البدع، ممكن تصل بدعته إلى حد الكفر والخروج من ملة الإسلام، وممكن بدعته تكون موضع أخذ ورد بين أهل العلم، فهل هو يكفر بذلك أو لا يكفر؟ وهنشوف المسألة

أركان الإيمان بالقدر أربع أركان أو أربع مراتب، سميها أركان سميها مراتب الأمر سهل لا مشاحة في الإصطلاح.

الركن الأول: الإيمان بعلم الله السابق

الركن الثاني: الإيمان بكتابة الله لمقادير الخلائق.

الركن الثلاث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

الركن الرابع: الإيمان بخلق الله لأفعال العباد.

زي ما قلت لك أن كل ركن من أركان الإيمان الأربعة وكل مرتبة من مراتب الإيمان الأربعة هنجد نفسنا في وجاه فريق من أعداء الإسلام والإيمان عبر التاريخ.

الركن الأول والركن الثاني ده اللي هو الإيمان بكتابة الله عز وجل، والإيمان بعلم الله هنقول خاصم فيهما قدماء القدرية.

من قدماء القدرية؟ الجماعة القدام خالص خالص، أول من تكلم قبلنا بالبصرة في القدر معبد الجهني، معبد الجهني ده رأس من رؤوس الضلالة، هو الراجل ده معتزلي، وعارفين أن المعتزلة يعني شر الخليقة أجمعين، لأن هم حرب على الله عز وجل وعلى كتابه وعلى سنة نبيه ﷺ وعلى قواعد الإيمان، وأفكركم بالكلام اللي قلناه قبل كده لو ما درستهوش معنا كان السلف رضي الله تعالى عنهم يقول قائل حاكيًا موقف السلف من المعتزلة:

دع عنك هزل الهزلة وإعتزل المعتزلة

فإنها جماعة عن الهدى منعزلة

أخس كلب في الورى أعز منهم منزلة

عشان تعرف أنت بتتكلم على مين؟ ما إحنا قلنا كل واحد يعرف قدره، فالمعتزلة القدرية القدامى هؤلاء خاصموا في هاتين المرتبتين، فكفروا بعلم الله السابق، وهو ده الإشكال اللي

رُفع لابن عمر، إن قبلنا أناسٌ بالبصرة يقولون أن لا قدر، وأن الأمر أُنف، أُنف يعني إيه؟ يعني جديد لانج، ربنا ما عندوش سابق علم لما يفعله الخلق، فكل حاجة بالنسبة لربنا عند هؤلاء الملاحدة مفاجآت جديد في جديد، فلما أنكروا العلم، أنكروا ما بعده، لإن دي قمة الإيه؟ دي أساس البناء، إنسان لا يؤمن بأن الله عز وجل يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن، لو كان كيف يكون، يبقى مسلم منين الناحية ده؟ عشان كده عبدالله بن عمر بادر على طول أن هؤلاء كفار وأنه منهم براء، إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنهم برءاء مني، وأنني بريء منهم، وكفرهم عبادة بن الصامت، وأجمع أصحاب النبي رضي الله تعالى عنهم على كفر هذه الطائفة القدرية القدماء، والعلماء مجمعين على أن من أنكر مرتبة الإيمان بعلم الله السابق ومرتبة الإيمان بكتابة الله لمقادير الخلائق أن دول بره اوت مش تبع المسلمين أساسًا، يعني ما خدوش حتى أن يبقوا مبتدعة من الفرق النارية، ما حصلوش يبقوا من الفرق النارية، دول برة الإسلام خالص، ظاهرًا وباطنًا، يعني مش إحتمال الإيمان في الباطن؟ لا ما فيش إحتمال في الباطن، ده كافر وش وظهر.

فهؤلاء الذين خاصموا في هذه المرتبة وهذه المرتبة بفضل الله عز وجل إنقرض كل قائل بهذه الضلالة ممن يمت للإسلام بصلة، ما فيش حد جوة دائرة الإسلام بيخاصم في المنزلتين دول، ولذلك المنزلتين دول لو أنت ربنا رزقك فهمًا، وإدع الله أن يرزقك لهاتين المرتبتين وبقوا عندك كده شكل قواعد البناء، خلاص سهل تكمل بناءك بسهولة جداً في باب القضاء والقدر، عشان كده كان من كلام السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، لما نيجي نناقش بقى في المدرسة الثانية؛ ما هو هنا عندنا قدماء القدرية دول خط الأحمر دول، الجماعة بتوع جهنم الحمراء دول كده، تمام كده؟ دول خلاص خلصوا، ما عدش فيه حد ينتسب للأمة ينازع في مرتبة الإيمان بالعلم ولا في مرتبة كتابة الله لمقادير الخلائق، لكن دول فرخوا جيل ثاني، آمن بالإيمان بعلم الله السابق وبكتابة الله لمقادير الخلائق، وبدأ ينازع في مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، بدأ ينازع في مسألة خلق الله لأفعال العباد، كل مرتبة من المراتب دول هنبين معتقد أهل السنة فيها بالتفصيل الدقيق، وبالأدلة وبالآثار وبالأحاديث عن النبي، ونأخذ وندي مع بعض، نفهم يعني إيه إيماني بعلم الله السابق؟ وإيه

علاقته بالقدر؟ الإيمان بكتابة الله بالمقادير وإيه المطلوب؟ وإيه أنا فين إرادتي في الموضوع ده؟ وفين إختياري في الموضوع ده؟ وبيجي بقى السؤال المحروق الإنسان مسير ولا مخير؟ قبل ما نجاوب على أي إشكال وقبل ما نجاوب على أي سؤال نبني البناء وأنت اللي هتجاوب مش أنا اللي هجاوب بحول الله وقوته.

يبقى أول من خاصم في هاتين المرتبتين قدماء القدرية ودول كفار بإجماع أهل الملة.

وبعد كده عندي خصومة ثانية في مرتبة الإيمان بالمشيئة النافذة والقدرة الشاملة، دي واحدة، والنزاع في مرتبة الإيمان بخلق الله لأفعال العباد، النزاع هنا بدعة، وهل هم كفار بأعيانهم ولا لأ؟ زي دول؛ فيه خلاف بين أهل العلم رحمهم الله من أهل السنة، يعني أنا لما أتعامل مع الناس دول بتعامل مع مين؟ مع كفار وش بظهر، لما أتعامل مع الناس دول بتعامل مع مين؟ مع ناس مختلف في إسلامهم.

يبقى هنا جمهور المبتدع أو أن هنقول زي ما كتبنا في الثانية بقى خاصم فيها في المرتبتين دول أو خاصم فيهما المعتزلة والجبرية، وبرضو عندنا كمان خصيم كده بس قاعد على دكة الإحتياط الأشاعرة، لأن مشكلة الأشاعرة أن هم جبرية بس يعني إيه؟ بشرطة، وهنشوف الكلام ده وإحنا بندرس الموضوع هيبان لنا الكلام بوضوح خطوة بعد خطوة، يبقى خصماء الإسلام في هذه المسألة قدماء القدرية ودول كفار بالإجماع، يبقى هنا دول كفار بالإجماع، برضو عشان نأخذ الصورة على بعضها، وقد أجمع أهل العلم على كفرهم، تمام؟

ودول كفرهم موضع خلاف، لما نقول موضع خلاف يبقى سائغ معتبر، يعني إيه موضع خلاف؟ يعني لو لقيت حد من أهل العلم بيفتي أو بيدرب أبناؤه أو بيدرس طلابه على أن المعتزلة في هذا الباب كفار ما تقولوش أنت مغالي ولا أنت مكفراتي ولا الموضوع كبير، لو لقيت واحد بيقول: لأ ده هم مسلمين عصاة مبتدعة لم ترتقي بدعتهم إلى حد الكفر، والخروج من الملة يبقى الكلام برضو منضبط، والراجح أنهم ليسوا كفارًا بأعيانهم وإن كانوا كفارًا بأقوالهم، يعني القول هنا كفري، إنكار هذه المرتبة كفر، لكن منكره ليس بكافر بالعين حتى تقام عليه الحجة الرسالية، وطبعًا إحنا واخدين مقدمة طويلة جداً جداً في مسائل

الإيمان ١٥ حلقة، وشرحنا كتاب مسألة الإيمان في قرابة ٤٠/ ٣٣ حلقة، تمام؟ فالحمد لله رب العالمين، إحنا كده عندنا قاعدة نبدأ نتحرك عليها.

يبقى دي الأركان العامة اللي هنتكلم عليها، كل مرتبة من المراتب الأربعة لها أدلتها، ولها يعني مستنداتها إن شاء الله، نرجع ثاني للكتاب.

بيقول لي هنا:

مراتب الإيمان بالأقدار أربعة خذها ولا تماري

فالأول الإيمان بالعلم الجلي لدى الإله بالدقيق والجلي

أول المرتبة من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بأن أن الله يعلم كل شيء، كل شيء بما تحتويه كلمة كل من معاني، يعني المدركات واللامدركات اللي أنت تعرفه واللي الدنيا كلها مش ممكن تعرفه، والماضي والحاضر والمستقبل على أدق التفاصيل.

بيقول لي هنا: إعلم رحمك الله تعالى ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه، وهدانا وإياك صراطه المستقيم أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب؛

الأولى: الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء، من الموجودات والمعدومات، والممكنات والمستحيلات، يبقى هنا موضع علم الله سبحانه وتعالى، ربنا يعلم إيه وإيه وإيه؟ يعلم الموجودات المدركة واللامدركة، ويعلم المعدومات اللي ما حصلتش، لو هتحصل تحصل إزاي؟ والممكنات والمستحيلات، فعلم سبحانه ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعني الحاجات اللي ما حصلتش ومش هتحصل، لو حصلت ربنا سبحانه وتعالى يعلم كيف يكون حصولها وكيف يكون وقوعها على أدق التفاصيل، والأدلة في ذلك كثيرة جداً جداً، يعني عموم علم الله سبحانه وتعالى عندي هنا قول الله عز وجل في سورة الحشر: (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة)، لأن الكون عبارة عن عالمين: عالم الغيب وعالم الشهادة، الكون كله المدرك واللا مدرك عبارة عن عالمين فقط عالم الغيب وعالم الشهادة، والله عز وجل هو عالم الغيب والشهادة.

وقال تعالى: (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير * وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا).

وقال عز من قائل: (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر).

وقال سبحانه وتعالى: (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن إهتدى).

وقال سبحانه: (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن إتقى).

وقال تعالى: (أليس الله بأعلم بالشاكرين)؟

وقال سبحانه: (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين).

وربنا سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم قال للملائكة: (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون).

البخاري رحمه الله تعالى كعادته عامل من كتابه دستور السنة النبوية التي تعضض آيات رب البرية سبحانه وتعالى، بوب البخاري في صحيحه باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، بيذكر فيه حديث أبي هريرة رضي الله أو حديث ابن عباس قال: سُئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، الصحابة بيحاربوا الكفار في وسط الحرب، ناس بتموت مش مقصودة إنها تموت، ماتوا في الزحمة، منهم الأطفال الصغيرين، فالنبي سُئل الأطفال الصغيرين دول بقى فين؟ في الجنة ولا في النار ولا إيه شغلهم إيه حكمهم؟ فقال النبي ﷺ: (الله أعلم بما كانوا عاملين)

وقال الإمام البخاري أيضًا من حديث عبدالله بن شخير يحدث من حديث عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: (نعم)، قال: فلم يعمل العاملون؟ هي الموضوع متستف ومتضبط وخلصان يعني فلان بإسمه ووصفه وشخصه في الجنة ولا في النار والثاني بالعكس في الجنة ولا في النار؟ الموضوع خلصان يعني؟

قال: (نعم)، أيعلم أو أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: (نعم)، قال: فلم يعمل العاملون؟ أومال إيه بقى قصة الصلاة والصوم والعبادة ونبقى كويسين وبلاش نبقى وحشين لازمته إيه من الأساس؟ فلم يعمل العاملون؟ فقال: (كل يعمل لما خُلق له)، وفي رواية: (كل يعمل لما يُسر له)، وده بيمهد هنا الإجابة على السؤال الشائع المحروق؛ الإنسان مسير ولا مخير؟ ومش هنجاوب دلوقتي هنأجله بعدين.

الحديث اللي بعد كده حديث سهل، أن رجلًا من أعظم المسلمين غناءً عن المسلمين في غزوة غزاها، مع النبي ﷺ، يعني فارس ما فيش منه، تمام؟ مقطع الجماعة الكفار شمال ويمين وهو النجم بتاع الغزوة دي، أن رجلاً كان من أعظم المسلمين غناءً في غزوة غزاها مع النبي فنظر إليه النبي ﷺ فقال: (من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا)، أقول لك قذيفة؟ أقول لك صاعقة؟ أقول لك صدمة؟ أمر مرعب، أمر مرعب، ولذلك السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها بتقول لما تشوف إنسان حلو كده ومالي عينك وجميل كده قل: إعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، أنا ما أعرفش أنت حلو ولا غلط، ربنا هيحاسبنا كلنا قدامه، يعني لا تزكي أحدًا بعينه إلا ما جاءك تزكية له من قبل الوحي الذي لا ينطق عن الهوى.

نظر النبي إليه فقال: (من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا) فإتبعه رجل من القوم، قال: أما أشوف قصته إيه؟ وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جُرح، في وسط الغزوة جرح كده، فإستعجل الموت، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه، بوز السيف، حطه في وسط صدره، تمام؟ ثم تحامل عليه، حط مقبض السيف في الأرض ورمى نفسه بثقله عليه، حتى خرج من ظهره من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي مسرعًا فقال: أشهد أنك رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: (وما ذاك؟) إشمعنى؟ فقال: قلت لفلان: (من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه)، وكان من أعظمنا غناءً عن المسلمين، فعرفت أنه لا يموت إلا على ذلك، فلما جُرح إستعجل الموت فقتل نفسه، فقال النبي ﷺ وإمسك قلبك بايدك: (إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل بعمل أهل الجنة وهو من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم)، أهم حاجة في حياتك، المشهد

الأخير، أهم حاجة في حياتك، آخر كلمة هتقولها، آخر فكرة كانت في دماغك، آخر وضع كنت عليه، آخر حالة كنت فيها، المشهد الأخير، آخر لقطة ممكن تقعد عمر نوح عليه السلام على طاعة الله، والله يعلم منك غير هذا، (وما ربك بظلام للعبيد)، (إن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون)، خذ بالك كويس قوي قوي قوي إن الإيمان بالقدر سر التوحيد، ومن إيماننا بالتوحيد بأن الله عز وجل لا يظلم الناس شيئا، فأي نتيجة توديك لظلم ربنا للعباد تبقى غلط على طول، مبدئيًا كده، يعني ريح نفسك فيه إجابات إجمالية، أي وسوسة شيطانية، أي شبهات إلحادية، أي أفكار منحرفة هتفهمها غلط، وتطلع نتيجتها أن ربنا ظلم الناس، إعرف أن دي حيطة سد، كده غلط، لأن أساس الإيمان بأسماء الله وصفاته بأن الله عز وجل هو الحكم العدل، بأن الله عز وجل هو الذي لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

ولذلك كل الكفار لما ييجوا يخشوا جهنم خالدين فيها أبدًا، والملائكة تسألهم على بوابة جهنم قبل ما يخشوا المشنقة، (ألم يأتكم نذير)؟ الجواب: (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء)، فتقول الملائكة: (إن أنتم إلا في ضلال كبير)، أو (في ضلال مبين)، يبقى أنت تأخدذ بالك إن ما فيش كافر مهما كان جدله، ومهما كانت عبقريته، ومهما كان لمض وبتاع شبهات إلحادية، يعرف يفتح بقه مع ملائكة الله، فضلًا أنه يحتج على الله بشيء، ما يقدرش، لأن يوم القيامة إسمه يوم الحاقة، ما فيش لف ودوران، الهجص اللي أنت بتعمله في الدنيا ده واللغط اللي أنت بتتكلم فيه ده ينفق على البشر الضعفاء اللي زيك، أما في يوم الحساب ما تعرفش تقول غير الحق، حتى لو أنت كنت بتكفر به، هتقوله ورجلك فوق رقبتك.

بعد كده قال النبي ﷺ فيما رواه مسلم من حديث أُبي بن كعب قال: (إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافرًا)، عارفين قصة الخضر وموسى عليه السلام؟ فوجد غلامًا يلعب مع غلمان فأضجعه، فلم يفجأ موسى عليه السلام إلا والخضر قد أضجعه على الأرض، وذبحه بيده وإقتلع رأسه، كده اهو من باب للطاقة، سيدنا موسى ماشي مع الخضر لقي عيل بيلعب كده زي الغزال عمال يتنطط شمال قام مرقده في الأرض وذبحه مسك رأسه علقها كده،

فقال له موسى عليه السلام: (أقتلت نفساً زكية بغير نفس)؟ ليه؟ طب ده ذنبه إيه؟ فطبعًا أنتم عارفين القصة، النبي بقى بيقول في المشهد ده: الولد ده كان موته مصلحة، ولا يعلم هذه المصلحة العائدة عليه وعلى أمه وعلى أبيه وعلى جيله وعلى بلده وعلى أمته إلا الله سبحانه وتعالى، لكن أنت شايف المشهد القاصر، أنت شايف اللي قدام الستارة، إنما اللي من وراء الستارة، اللي وراء الكواليس اللي فوق المسرح، الخطة الأساسية للمشهد اللي أنت شايفه، ما تعرفش (إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافرًا) يعني لو خليناه وعمره وقوته وحياته وقدرته لكان داعية كفر وضلال، ومش هيبقى كفر ومنه فيه لوحده كده؛ لأ ده هو الولد حيلة أمه وأبوه، وعاوز كذا يا أما؛ حاضر يا إبني من عنيا، عايز كذا يأبا، عايز حاضر من عيني، ما بيكسرولوش كلمة فلو كبر على كده وهو مجبول على الكفر، إكفري يأما حاضر يا ابني، أكفر يأبا حاضر يا إبني، وينشر الكفر في الناس، إيه رأيك نموته كده دلوقتي وأبناء المسلمين في الجنة قطعًا فيبقى كسبناه في الدنيا وفي الآخرة ويبدلهما الله عز وجل خيرًا منه جارية حسناء تتزوج ملكًا وتولد ولاد تملوا الدنيا، زي ما المفسرين بيقولوا ولا نخليه دلوقتي ويبقى ولد حيلة أمه وأبوه ما فيش غيره ويكفر أمه ويكفر أبوه وكلهم في النار خالدين فيها أبدًا خسر الدنيا والآخرة؟ ما هو أنت حساباتك على قدك؟ إنما حسابات ربنا لها حسابات ثانية، (إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافرا).

طيب الولد اللي هو الصغير ده كبر وبقى راجل وكفر؟ لأ، طب ممكن يكبر؟ لأ برضو لأنه مات، هذا من علم ما لم يكن لو كان كيف يكون، لو كبر هيكفر، طب هو كبر؟ لأ، طب ربنا هيحاسبه على أنه لو كبر هيكفر؟ برضه لأ، عشان تعرف نقطة من نقط فوائد الإستفادة بالقدر، مش معنى أن أنت ربنا علم ما ستعلمه أو ما ستعمله قبل أن يخلق الدنيا بأسرها وكتبه في اللوح المحفوظ وأراده بإرادته الشاملة وقدرته النافذة وخلقه فيك (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)، مش معنى ده أن هيحاسبك على مجرد القدر من غير سابق كسب منك، لأ مش هيحصل، وإلا كان حاسب الولد ده ودخله النار، طب لما كان دخله النار، يبقى إيه فايدة أنه يموت صغير؟ هو موته صغير عشان يخش الجنة، (إن الغلام الذي قتله الخضر) ما هو وهو صغير أبوه وأمه مؤمنين ولا كفرة؟ مؤمنين، وإجماع أهل السنة على أن أبناء

المؤمنين في الجنة، حتى وإن كان في القدر لو قُدر له أن يحيى كافرًا لكفر برضو في الجنة لأنه ما وصلش للنقطة دي، يبقى ربنا مش هيحاسبك على مجرد سابق علمه فيك بس، وهذه فائدة في حديث الغلام.

حديث آخر: أمنا عائشة بتروي بتقول: دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى له، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل الشر ولم يدركه أو لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال النبي ﷺ: (أو غير ذلك يا عائشة؟)، الرجل ده أنصاري ابو الواد والأم أنصارية أم الولد، تمام؟ أو مهاجرية ممكن يكونوا يعني واحد من مكة وواحدة من المدينة، الولد من أهل الأنصار بمقتضى النسبة وبمقتضى الولادة، مات فالنبي رايح يعزي، السيدة عائشة بتقول: يا سلام! أما موتة جميلة قوي يموت وهو صغير قبل الذنوب والمعاصي والمخالفات، طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء، ولم يدركه، مات صغير، فكأنها بتقطع له بالإيه؟ تقطع له بالجنة، فالنبي قال لها: لأ، ولا دي برضو، (إن الذي يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون) ما هوش إنتِ، ده ربنا سبحانه وتعالى، وذلك قبل أن يوحى اليه ﷺ أن أطفال المسلمين في الجنة، فالنبي ما هوش عارف وهي مش عارفة تتكلمي في معين بغير دليل شرعي إزاي؟ (أوغير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب أبائهم) قبل أمه ما تحمل فيه، (وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب أبائهم).

وقال الإمام مسلم رحمه الله تعالى حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي بإسناده عن يحيى بن يعمر عن أبي الاسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم؟ ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيم يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ اللي الناس بتعمله ده، حاجة خلصانة ومنتهية ولا معلومات؟ ده تجديدة بالنسبة للقضاء والقدر، فقلت: بل شيء قُضي عليهم ومضى عليهم، فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعت مما قال، فقلت: كل شيء خلق الله وملك الله وملك يده فلا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال له: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا حرز عقلك، ده أنا بأعمل لك إختبار في القضاء والقدر، أشوفك حاضر الرد ولا إيه؟ قال له: وقعت قلبي

بأحسبك بتقول كلام غلط، قال له: ده أنا اللي بأعلمك، أنا باقول كلام غلط! إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله سألوا النبي نفس السؤال اللي أنا عملته لك إختبار، يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؟ أفي شيء قُضي عليهم ومضى فيهم من قدرٍ قد سبق أو فيم يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: (لا بل شيء قُضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفسٍ وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها))، يبقى هنا ربنا سبحانه وتعالى هدى كل نفسٍ، ألهم كل نفس إلى سعادتها أو إلى شقائها، (إعملوا فكل ميسر لما خلق له).

طبعًا الصورة مش واضحة لسه، إحنا لسه بنقول: يا هادي، بنحاول نجمع الصورة حتة بحتة.

يبقى أول ركن من أركان الإيمان القدر هو ركن الإيمان بعلم الله السابق لما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

يلا نذكر بعض الأدلة كده في ثبوت هذه المرتبة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

قال الله عز وجل مواسياً أصحاب نبيه فيمن تخلف من المنافقين في بعض الغزوات: (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) طب هم خرجوا؟ لأ، طب هيخرجوا؟ طب ممكن يخرجوا؟ أبدًا، ده ماتوا يخرجوا فين؟ ما خلصت خلاص، فهذا من علم الله لما لم يكن لو كان كيف يكون، تمام؟

قال الله عز وجل: (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)، (لو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)، طب هو ربنا أسمعهم؟ لأ، عاشوا كفار وماتوا كفار، ولم يسمعهم سماعًا يستفيدون به، لأنهم ماشيين على نظرية علم في المتبلم يصبح ناسي، مش هيطمر فيهم إقامة الحجة، زي عدمها، لكن مين اللي يعرف كده؟ يعني أنت تقدر كده تقول للإنسان علم ما علمتكش زي بعضها؟ لأ، الذي يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون مين ده؟ ربنا بس.

ولذلك ييجي السؤال بقى: لو صبر القاتل على المقتول كان إيه؟ الله أعلم، أنا أعرف ما هو ما صبرش، ما هو القاتل قتل المقتول وخلصت، مش فيه قاتل وفيه مقتول مات خلاص، هتقول لو صبر؟! (ولا يقولن أحدكم لو كان كذا وكذا لكان كذا وكذا، فإن لو) ده أهيه، اللي هي في الحتت الغامقة اللي ما حدش يعرف يخشها، (تفتح عمل الشيطان)، إنما لو كانت لو من باب تمني الخير واستعجال التوبة ونحو ذلك، قال النبي: (لو إستقبلت من أمري ما إستدبرت لما سقت الهدي)، إذًا مش كل لو بتفتح عمل الشيطان، في لو بتفتح عمل الشيطان ولو ما بتفتحش عمل الشيطان، إيه اللي بتفتح عمل الشيطان؟ اللي بتخش في الغويط دي بتتقفر العلم، بتخش في حتت ظالمة ما إنتاش قدها.

فهنا نظرية لو صبر القاتل على المقتول كان مات لوحده، هذا رجم بالغيب، هذا تقول على قدر الله، هو حد عارف؟ هو القاتل ما قتلش، القاتل ما صبرش، ما هو بقى إسمه قاتل ليه؟ مش عشان قتل وخلص؟ والمقتول بقى إسمه مقتول ليه؟ مش عشان مضى وإنقضى، أنا بأسألك بقى لو اللي مضى ما مضاش ولو اللي إنقضى ما إنقضاش يبقى إيه؟ تخش تحت، ما لم يكن لو كان كيف يكون؟ وهذا من خصائص علم جل وعلا.

المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر كانت مرتبة الإيمان الإيه؟ الإيمان بكتابة الله لمقادير الخلائق، قلنا فيها :

ثانيهم الإيمان بالكتابة ... وتلك أنواعٌ بلا غرابة

باللوح ثم بعد خلق آدم ... وللجنين فإرتق المكارم

وليلة القدر لها كتابة ... وكل يوم فله كتابة

وأُحتج بالأقدار في المصائب ... وإحذر من إحتجاج ذي المعايب

نقول تاني: ثانيهم؛ أي ثاني مراتب الإيمان بالقدر، ثانيهم الإيمان بالكتابة والكتابة فعل من أفعال الله عز وجل، كتب الله عز وجل أقدار الخلائق في اللوح المحفوظ بيده، وخلق جنة عدن بيده، وغرس غراسها بيده، وخلق آدم بيده، دي خصائص، مش كل حاجة ربنا خلقها

بيده، الأشياء المخصوصة فقط لكرامتها وشرافتها على الله، كتب الله عز وجل مقادير الخلائق بيده في اللوح المحفوظ، لا ندري كيف كتب؟ لكننا نوقن أنه كتب، وهذه مُسَلمة عقدية في هذا الباب، أجمع أهل المِلل قاطبة على الإيمان بعلم الله السابق لمقادير الخلائق، وعلى الإيمان بكتابة الله لمقادير الخلائق.

عندنا هنا في القرآن ربنا بيقول: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) الكتاب يعني إيه؟ القرآن؟ لأ، الكتاب هنا يعني اللوح المحفوظ.

وقال الله عز وجل: (وكل شيءٍ أحصيناه في إمام مبين)، ما الإمام المبين؟ اللوح المحفوظ.

وقال الله عز وجل: (وكل شيء فعلوه في الزبر)، الزبر أي الصحف؛ ألواح اللوح المحفوظ، (وكل صغير وكبير مستطر)، في الزبر إما زبر الملائكة وإما ألواح القدر، (وكل صغير وكبير مستطر) فين؟ في اللوح المحفوظ، فكل شيء بقضاء وقدر، والكل في ام الكتاب مستطر.

وقال الله عز وجل فيما قصه علينا من خبر مناظرة موسى لفرعون، قال فرعون: (فما بال القرون الأولى)؟ جواب موسى: (علمها عند ربي في كتاب)، إيه الكتاب؟ اللوح المحفوظ، (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى).

وقال تعالى: (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)، مش صعب على ربنا أبدًا أنه يكتب كل ما يدور في ذهنك وما لا يطيقه ذهنك، وما لا يبلغه علم الأولين ولا الأخرين إلى ما لا نهاية، حتى يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار على أدق التفاصيل.

وقال الله سبحانه وتعالى: (ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبين)، لأن المخلوقات إثنين يا رطب يا يابس ما فيش ثالث، يبقى كل المخلوقات علويها وسفليها تنقسم قسمين؛ مرئيها وخفيها، وتنقسم قسمين خيرها وشرها تنقسم قسمين رطب ويابس، وربنا بيقول: (ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين).

وقال تعالى: (وما تكون في شأنٍ) يعني على حال من الأحوال (وما تتلوا منه من قرآنٍ وما تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتابٍ مبين)، خلق السماوات بتفاصيل خلقها، خلق الارض بتفاصيل خلقها، ما بينهما، ما فوقهما، ما تحت الثرى، كتبه الله عز وجل في اللوح المحفوظ على أدق التفاصيل، ذوات العباد، صفات العباد، أفعال العباد، أقوال العباد، أحوال العباد، كل ذلك عند الله في إمام مبين.

وقال تعالى: (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا يُنقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير).

طبعًا الآيات اللي هي فيها مباحث القدر دي؛ كل آية لو إتكيت عليها تكة هتطلع ملفات كبيرة عريضة في باب تفاصيل الإيمان بالقضاء والقدر، لكن إحنا في سنة أولى قضاء وقدر، نأخذ الكلام من على بره كده، ونخلي التفاصيل لمرحلة ثانية، ربنا سبحانه وتعالى يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.

البخاري برضه كعادته رحمه الله وطيب ثراه يسوق في صحيحه، تمام؟ أحاديث عن النبي ﷺ تعضد قانون الإيمان بكتابة الله لمقادير الخلائق؛

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت به في الأرض، وقال: (ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتب مقعده من النار أو من الجنة)، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ طالما خلصانة ما نقعد بقى، فقال النبي: (لا، إعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له)، يعني إيه ميسر؟ لما نخلص مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، ونيجي نتكلم على مرتبة الإيمان بالمشيئة بعد إثبات أدلة مشيئة الله عز وجل، نتكلم في إثبات مشيئة العباد، ونبدأ نتكلم على ناتج هاتين المشيئتين وهي الأفعال الإختيارية، ونخش في المعترك الصحيح بقى، نخش في الموضوع بجد، بس لسه شوية كده.

بيقول هنا: قال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: (لا، إعملوا فكلٌ ميسر) ثم قرأ: (فأما من أعطى وتقى وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل وإستغنى وكذب

بالحسنى * فسنيسره للعسرى)، يبقى ربنا ييسر مش يسير، ولا يخير، لأ مش كده، هتيجي دلوقتي الحل الإشكالية.

عند مسلمٍ من حديث علي أيضًا قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، مدافن المسلمين في المدينة النبوية، فأتنا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، مخصرة العصا اللي هي زي العكاز جنب الخصر كده، بيتسند عليها، ومعه مخصرة فنكس، يعني رأسه ثم جعل ينكت بمخصرته ثم قال: (ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة)، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ واللي ربنا كاتبه يكون بقى وخلاص، فقال: (من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة)، فقال: (إعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة)، ثم قرأ ﷺ: (فأما من أعطى وإتقى وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل وإستغنى وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى).

وساق الإمام حديث سراقة بن مالك بن جعشم قال: قلت: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأننا خُلقنا الان، إحنا عايزين من الأول خالص خالص، بَيِن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم نعمل اليوم؟ أفيم جفت به الأقلام؟ وجرت به المقادير؟ أو فيم يستقبل علم ربنا بالنسبة لأعمالنا إحنا، الموضوع مضى وإنقضى ولا أنا لسه هادي لربنا معلومات جديدة من خلال أفعالي وأقوالي وأحوالي، أفيم جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو فيم يستقبل؟ قال: (لا، بل فيم جفت به الأقلام وجرت به المقادير)، قال: ففيم العمل؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه فسألته: ما قال؟ فقال: قال: (إعملوا فكلٌ ميسر) يبقى مش مسير؟ لا، ولا مخير؟ لا، أومال إيه؟ ميسر، يعني إيه؟ لسه معنا حلقات عشان نجاوب عليها، يعني إيه ميسر دي؟ ركز معي.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب: (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون).

وقال الله عز وجل: (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)، طب ما هو البيان جاء لنوح أهو، كده خلصوا ما فيش ولا واحد زيادة، طب سؤال نوح بطل دعوة؟ لأ، ليه ؟ عشان فاهم (إعملوا فكلُ ميسر)، مش إركنوا على ما تعلمونه من خبر القدر، طب القدر جاء له أهو، يعني سيدنا نوح إتقال له: (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)، ما فيش، طب خلاص بقى يا رب أنا كده طلعت معاش كفاية بقى، إشتغل لحد آخر لحظة في حياتك، (وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين)، يعني إزاي؟ عشان أنت ميسر، اللي هي إيه؟ اللي في الحلقات جاية، لسه ربنا سبحانه وتعالى يرزقنا وإياكم علمًا نافعًا.

هنا عندنا بيقول: وقال الإمام البخاري: حدثني محمود بن غيلان بإسناده إلى أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، واليد تزني وزناها البطش، والفم يزني وزناه القُبل، والأذن تزني وزناها الإستماع، والرجل تزني وزناها المشي، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)، الفرج يصدق ذلك، ذلك إشارة إلى يجعل النظرة اللي هي زنا مجازي، ممكن الفرج يصدق الزنا المجازي يخليه زنا حقيقي، ما هو نظرة فإبتسامة فموعد فلقاء لبس في الحيط، (والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)، يخلي النظرة وقفت عند كده، ما يكملش في الموضوع، يبقى المشكلة كلها فين؟ إن دي كلها نوافذ إلى القلب مهيج للعضو، يبقى أنت الباب اللي يجي لك منه الريح سده وإستريح.

عشان كده ربنا قال: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم)، مش هيحصل حفظ الفرج إلا بغض البصر، ريح دماغك، أوعى تقول لي ده أنا ببص بس، أنا مسيطر على نفسي، إوعى تضحك على روحك، العين بوابة القلب والقلب هو ماكينة العضو، ستقع في الفاحشة شئت أم إبيت، إن عاجلًا أو أجلاً، يعني ما كانش دلوقتي يبقى بعد شوية، الحل: بطل بقى.

(كُتب على ابن ادم حظه من الزنا)، ده إشارة إلى ما كتبه الله في سابق القدر، مش معناه إن الموضوع إيزي ميزي وخد راحتك وكلها متضبطة، ما هو ربنا كاتب كل حاجة.

وهنقول في إجابة سهلة ومختصرة لأي إنسان بيحتج على الذنب بالقدر، إن الاجابة سهلة جداً وبسيطة خالص، أول لما أقول لك ربنا كتب علي أنا أبقى كافر، ربنا كتب علي أن أنا أبقى زاني، ربنا كتب علي أبقى فاشل، ربنا كتب علي أبقى قاتل، ربنا كتب علي أن أنا اعمل مش عارف إيه؟ قول له: حاضر، وأنا موافق، آمنت بالله، (كان ذلك في الكتاب مسطورًا)، لف كده حضرتك، شمر قفاك طااخ (كان ذلك في الكتاب مسطورًا).

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا،

طيب أنا كنت بس بنبه الإخوة على إستدراج بسيط فيما يتعلق بما كتبه الله عز وجل بيده، أنا في سرعة الكلام وأنا بشرح قلت كتب الله مقادير الخلائق بيده، وذكرت اللوح المحفوظ فأوهمت إن الكتابة اللي في اللوح المحفوظ كتبها الله عز وجل بيده، أنا كنت أقصد الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: (أن الله عز وجل كتب التوراة بيده، وغرس غراس جنة عدن بيده وخلق ادم بيده)، ده تصحيح بس علشان ربما يحصل في بعض الإخوة ما يأخذش باله من الزلة أو يفهم الحديث غلط، والله تعالى أعلم.

وجزاكم الله خيراً.

ونسأل الله عز وجل أن يتقبلنا واياكم في الصالحين.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى إله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً